صفحة تاريخ الثورة الفرنسية

الارهاب وقانون المشبوهين

La Terreur et la loi des suspectes

للاستاذ محمد محمود زيتون

كان اغتيال لويس السادس عشر ملك فرنسا في ٢١ يناير سنة ١٧٩٣ إيذاناً بتقدم الثورة الفرنسية نحو غايتها من غير تراجع وفي هذا المعنى يقول المؤرخ « لودج » ما معناه أن الثورة باغتيال لويس السادس عشر قد حطمت جميع الفناطر خلفها وحكم المتطرفون البلاد؛ وتألفت « لجنة الأمن العام » وانتشرت فروعها لمواجهة الخطر الداخلي والخارجي معاً، ورأت اللجنة ومعها « المؤتمر الوطني » أن الارهاب الوسيلة الفعالة لتثبيط همم المعارضة، بإشاعة القلق والاضطراب في صفوفها، وارغام البلاد على التسلح ضد الأجنبي عن طريق الخوف حتى لقد قال (بيوفاين) يجب أن يرف من الآن سيف داموقليس، وقال (شومت) « فلنتخذ الارهاب نظامنا اليومي » أي فلنجعله نظام الحياة اليومية.

وبدأت لجنة الأمن العام تسن القوانين إزاء العبث بالنظام والغلاء المستحكم. ففي ١٧ سبتمبر أعلنت اللجنة قانون المشبوهين وفي ١٧ من نفس الشهر أذاعت قانون التسعير الجبري بعد أن هددت الجماعة باريس التي لم يعد للحم وجود في أسواقها، حتى كان من الطريف أن يقترح « فرينو » على اللجنة أن تسن تشريعاً يسمى قانون الصوم الوطني (١) بحيث يسري على فرنسا كلها

وكانت المهمة الأولى للجان الفرعية للامن العام ملاحظة المشبوهين، وإعطاء الأوامر بالقبض عليهم واعتقالهم بينما كانت « محكمة الثورة » تنعقد في « قصر العدالة » بباريس لمحاكمة هؤلاء المشبوهين محاكمة مشمولة بالنفاذ العاجل. ويتألف قانون المشبوهين من اثنتي عشر مادة تنص الأولى منها على كل من ينطبق عليه شرط الاشتباه، وإن كان بصفة عامة ينسحب على كل من لم يفعل شيئاً لصالح الحرية، ولو لم يفعل شيئاً ضدها « والثورة والحرية مترادفتان في عرف الارهابيين حينذاك ويكون مشبوهاً كل من تلبس بواحدة أو أكثر من الأحوال الآتية

١ — مناهضة الثورة ومبادئها وتثبيط الهمم عن طريق الخطب والتصريحات والأحاديث في النوادي والمجتمعات العامة

٢ — تشويه الثورة في الأذهان بإثارة آلام الشعب ومصائبه تلميحاً أو تصريحاً أو بنشر الشائعات عن سوء الحال أو بإبداء الحسرة والأسى على مصائر الأمور.

٣ — التلون في القول والعمل حسب تغير الأحوال.

٤ — إبداء الأسف على الشدة التي حاكت بها الثورة كل متلاعب بالأسعار وفق الأسعار التي تفرضها اللجنة على الزراع والتجار والصناع المنتجين.

٥ — مخالطة أنصار الملكية والنبلاء والمستغلين أو من على شاكلتهم سواء كان ذلك سراً أو علناً خصوصاً من كان يجري على ألسنتهم ذكر الحرية والجمهورية والاخاء والمساواة

٦ — التشكيك في دستور الجمهورية أو النهوين من شأنه وتوقع الفشل له

٧ — القعود عن مناصرة الثورة ومبادئها أو على الأقل الوقوف منها موقف الحياد.

وكانت الملكة (ماري أنطوانت) أولى ضحايا هذا القانون فقد نزعت من أولادها الذين سجنوا في المعبد وحجزت هي أكثر من شهرين فيما يشبه الكهف في قصر العدالة، وحكم عليها بالاعدام بعد محاكمة استمرت أكثر من عشرين ساعة ونفذ الحكم فيها بعد ساعات

والضحية الثانية (بالي) عمدة باريس الأسبق وتلته الضحايا تباعاً سراعاً، ومن بينهم (دوق أورليان) الذي عارض

---

(١) بهذه المناسبة كنت نشرت في الأهرام بتاريخ ٢٩ يناير سنة ١٩٤٢ مقطوعة عنوانها (الصوم الوطني) قلت فيها:

كدنا نصوم عن اللحوم زهادة ... ماضر لو صمنا عن التدخين
وكذاك سياراتنا لو أنصفت ... صامت هي الأخرى عن البنزين
الصوم الوطني الفدى واجب ... إن لم يكن كالصوم باسم الدين
حسب الفتى في اليوم لقمة زاهد ... مغموسة بالجبن والزيتون
يقتات من عدس الصعيد مفاخراً ... فيه الغنى عن كل فيتامين
سمك الشواطىء طازجا ومملحا ... يغنيه عن نون وعن سردين
سر في طريقك راجلا لا راكبا ... من (عين شمس) إلى عماد الدين
واحرص على نعليك بل رقعهما ... واغسلهما بالماء والصابون
كثرت ديونك فالورى ولربما ... أصبحت بعد الحرب غير مدين
هذي نصيحة مسرف لا يرعوي ... فاحتال باسم وزارة التموين

اللجنة وقرن اسمه باسم المساواة ، ورفع عقيرته بالاحتجاج على اغتيال قريبه لويس السادس عشر .

وكانت ضحايا هذا القانون الإرهابي لا تقع تحت حصر سواء في باريس أو في غيرها . ففي (ليون) كانت المساجين يقتلون كل اثنين معاً ، وفي (نانت) أطلقت لجنة عسكرية رصاصها على أكثر من ألف وخمسمائة سجين ، واستعان (كاربيه) بعصابة من السفاكين واللصوص على إغراق حوالى خمسة آلاف سجين في نهر (اللوار) بدون محاكمة ، وذلك في مدى ضبعة أشهر ركان منهم ثمانمائة في ليلة واحدة . وألقيت الجثث في بحيره (نانت) التي أصبح ماؤها سما ، فاضطرت البلدية منع بيع السمك . هذا والجيش يدفع عن حدود البلاد كل خطر ، وعندذلك رأى (دانتون) وهو من مضرمي النار . أن حركة الارهاب أصبحت غير ذات موضوع وأنه قد آن الأوان للعودة إلى « عهد القوانين والعدل بين الجميع » ووافقه صديقه ورفيقه الخطر (كامي دي مولان) ومن ثمت تألف حزب المتسامحين أو (المعتدلين) منهما ومن انضم لفهما ودار في فلكهما .

وقام في وجه هذا الحزب حزب آخر هو حزب (المسعورين) الذين لم يشبع سعارهم هذا العدد الهائل من الاغتيالات ، فاعلنوا عن تنظيمات جديدة للارهاب وبدأ يقوضون المذهب الكاثوليكي تحت معاول النظرات الفلسفية وقلبوا كل شيء رأساً على عقب ، حتى الأيام والأسابيع وأسماء القديسين والقديسات استبدلوا بها أسماء الفواكه والزهور والخضروات المذكورة في الأعياد الدينية ، وقرروا أن كل من يتسول أو يتعطر في أيام الآحاد والأعياد المسيحية يكون مآله السجن ، وطالبوا بخفض أبراج الكنائس لأنها « تتعارض مع مبادىء المساواة إذ تتعالى على سائر المباني » وهددوا كل عبادة ليبنوا على انقاضها « دين العقل »

وفي ١٠ نوفمبر احتفلوا بعيد « الحرية والعقل » بكنيسة نتردام ورمزوا لدينهم الجديد بإحدى راقصات الأوبرا وعملوا لها تمثال « مريم العذراء » ولم تنقض أيام حتى أغلقت كل الكنائس وطرد القساوسة الذين رفضوا اعتناق دين الثورة وعقيدة الارهاب

غير أن لجنة الأمن العام أخذت في مطاردة المسعورين في الأقاليم بلا هوادة ، وأطلق دانتون على خزعبلاتهم هذه اسم « مساخر لادينية » وتدخل الطاغية الجبار (روبسبيير) ليضع لهذه المساخر حداً إذ رأى الخطر محدقاً بالمجتمع من جرائها فما كان منه إلا أن شجع « المعتدلين » على التكتل ضد « المسعورين » وإن كان لايزال ينطوي على أشد إنفعالات المقت والحقد لكمي دي مولان . فهو الذي يقال من انتشار صيته وذيوع إسمه ؛ وهو الذي جرح كبرياءه وغروره ، وهو الذي يقف حجر عثرة في طريق مطامحه السرية

لهذا عزم على هدم الحزبين معاً ، فلما كان يوم ٥ ابريل كانت المقصلة قد أطاحت برأس دانتون ، فلم يعد أمام روبسبير من يكبح جماحه ، ويصد طاغونة .

ومضى الارهاب قدما لا يلوي على شيء ليصل إلى غايته المرسومة له منذ كان وهي خنق آخر ملك بأمعاء آخر قسيس

ومن العجيب العاجب أنهم كانوا يرون في الارهاب نظاما يمهد لعهد « الفضيلة » أما المقصلة كما يقول « أولار » فقد استخدمت من إجل تصليح النفوس وعاد هذا النظام المزعوم على (روبسبير) بفائدة مزدوجة إذ تخلص من كل من يقلق باله ويعكر صفوه ، كما أنه أصبح يثق في تزايد شهرته منذ ذلك اليوم الذي حطم فيه نظاما بغيضاً عند الشعب كله ، وهو الملكية

ومنذ ٨ يونيو ، وهو يوم عيد الكائن الأسمى نكست من طراز أعلام الارهاب والارهابيين ، ومع ذلك فإن أنصار روبسبير كانوا يمدونه محمد بني الاسلام وكرمويل لأن الفضيلة التي أرادها لفرنسا قد ضمنت (دين الدوله الرسمي)

احتفلت فرنسا بأول عيد للكائن الأسمى سار موكبه من « قصر التويليه » إلى « الشان دي مارس » وتصدره روبسبير في ثوب أزرق سماوي ، وأمسك بباقة من الزهور والسنابل ، وأحد القساوسة ينشد . والجوقة ترد دعاءه « يارب العالمين ، يامن وسعت كل شيء علماً » وأشعل روبسبير النار في صنم الكفر

وابتليت فرنسا بطراز عنيف من الارهاب سمي الارهاب الأكبر استمر سبعة وأربعين يوما انتهى بسقوط روبسبير في ٧ يوليو ؛ وقد أحصيت فيه تحت المقصلة ١٣٧٦ رأساً منهم